SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون ثاني ، يناير 2018م

e ISSN 2289-9073

ثبات الداعية على الحق رؤية معاصرة.

د. أبوبكر ثانى حسين.

أكاديمية الدراسات السلامية– قسم الدعوة والتنمية البشرية

جامعة ملايا – كوالالمبور.

aftuni4real2005@yahoo.com

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 5/8/2017
Received in revised form 5/9/2017
Accepted 12/12/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The paper speaks regarding the steadfastness of the preacher in the course of inviting people to truth through contemporary vision. It explains vividly that Islamic Da'awah in this era which faces many challenges makes the Da'awah heavy burden on the preachers in various countries and regions. Following the rapid development in the media and the wide spread of the modern means of communication and social media, this is what makes the preacher to keep abreast of these developments and study the reasons and experiences and the main purposes of its users and publishers, where we find behind the curtain hidden hands playing people's minds and trying to lure them to what may not be aware of their weak minds or within their limited power, and among what plagued the Islamic community in general and advocates, especially in our reality living which is known as the term globalization.

الملخص

تتحدث الورقة عن ثبات الداعية على الحق رؤية معاصرة، مبيناً أنّ الدعوة الإسلامية تمر في هذا العصر بتحديات كثيرة جعلت الدعوة حملاً ثقيلاً على الدعاة في شتى البلدان والأقاليم، إثر التطورات السريعة في وسائل الإعلام المتنوعة والانتشار الواسع لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة، مما يحول بين المدعو والداعية، أو يلهي المدعو بالمفضول عما هو فاضل، وهذا ما يجعل الداعية مدعوما لمواكبة هذه التطورات ودراسة أسبابها وخباياها وأهم أغراض مستخدميها وناشريها، حيث نجد من وراء الستار أيدي خفية تلعب بعقول الناس وتحاول استدراجهم إلى ما قد لا تدركه عقولهم الضعيفة أو ثقافتهم المحدودة، ومن بين ما ابتلي به المجتمع الإسلامي عموماً والدعاة خصوصاً في واقعنا المعيش ما يعرف بمصطلح العولمة.

مقدمة

إن الثبات على دين الله، والاستقامة على شرعه مطلب كل مسلم صادق يريد رضا الله والجنة، ويخشى عذابه والنار، والاستقامة على الطاعة والاستمرار على امتثال الأوامر واجتناب النواهي هي من صفات عباد الله المؤمنين، وهما أي: الاستقامة على دين الله تعالى والاستمرار عليه، السبيل الوحيد للسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)** [1]أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم[2].

ولقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة وحثَّهم على ملازمتها، فقال سبحانه: **(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**3. وهنا يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مَصرَعة حتى ولو كان على مشرك. وأعلَمَ تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء.[4]

والناظر إلى حال الأمة الإسلامية اليوم يجد أنها تعيش في حالة انتكاسة في كافة ميادين الحياة المختلفة، هذه الأزمة أو الانتكاسة أفقدتها الكثير من منهجيتها وصوابها، وأصبح موقعها – للأسف الشديد – خارج السباق التاريخي، والواقع المشهود، والمستقبل المأمول، ولا شك أن وصول الأمة إلى ما وصلت إليه من تخلف في شتى الميادين جعلها فريسة لما يعرف بالغزو الفكري والثقافي.

وهذه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية تحتاج منا المساهمة بكل ما نستطيع لعودتها إلى ريادتها مرة أخرى، ومن ضمن هذه الجهود تحديد معنى الثبات على الحق في واقع العصري.

ومفتاح تحديد الثبات الديني الإسلامي هو الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية بحيث يُفهم فهمًا سليمًا خالصًا من الشوائب، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

---

1 سورة فصلت الآية: 30.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1420هـ – 1999م ، (175/7).

3 سورة هود الآية: 112 .

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1420هـ – 1999م ، (354/4).

فنحن في حاجة ماسة إلى رجال يحسنون عرض الفكر الإسلامي ويصيغونه صياغة جيدة، يتنقون الفكر من الخرافة، والعقيدة من الشرك، والعبادة من البدع والأهواء، والأخلاق من التحلل والانهيار، رجال يتبنون كل تجديد مشروع يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويدعو إلى الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، منهجهم الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع.

وأمتنا الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى من يجدد لها إيمانها، ويجدد معالم شخصيتها، ويعمل جاهدًا لإيجاد جيل مسلم يقوم في عالم اليوم بما قام به الجيل الأول قي صدر الإسلام.

والفكر الإسلامي هو الفكر الوحيد الذي له القدرة الخلاقة على البعث والإحياء والتجديد، فهو فكر قادر على أن يجدد نفسه داخليًا، وأن يجدد الواقع من حوله خارجيًا، لأنه فكر يجاري السنن الإلهية في الكون. وهذا الفكر يتناسب طرديًا مع قوة الأمة الإسلامية وسيادتها، ففي حين انتصار الأمة وسيطرتها يكون الفكر الإسلامي أصيلا، لا يقبل الزيف أو الجمود، كما لا يقبل الذوبان في غيره، ولابد أن يتصف المجدد ببعض الصفات منها: العلم والاجتهاد، وأن يكون قدوة صالحة، عدلا مرضي السيرة، ولا يكون مبتدعًا في دين الله، وله تأثير واضح في الناس، وأن يكون ذا خبرة بحال الزمان.

وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث أنه من المهم في تطبيق معنى الثبات على الدين الحق في الأرض الواقع في عصرنا الحالي مراعاة هه الضوابط التي تتلخص في الآتي:

الضابط الأول: مراعاة الاختصاص: إن المعرفة بالإسلام كعلم هو أرفع العلوم، وأعظمها نفعًا، وأجلها شأنًا وقدرًا، وعلوّ شأنه ومكانته تأتي من كونه يتعلق بالشارع وهو الله سبحانه وتعالى، هذا بالمقارنة بالتخصصات العلمية الأخرى من طب وهندسة وكيمياء وفلك، مع أن التخصصات الأخيرة يشترط للمتحدثين باسمها أن يكونوا من أهل اختصاص هذه الفنون أو العلوم.

فهذا المبدأ أي: مبدأ الاختصاص شرط بدهي بل وأساسي لأهل هذه التخصصات، فكيف بأرفع هذه العلوم وأعظمها، وأصل كل ثقافة، ألا يستوجب أن يكون أعظم حرمة من هذه التخصصات.

إن مثل من يتحدث في الإسلام من غير أهله مثل الحلاق الذي اشتغل بمداوة المريض ومعالجة العليل، وهو لا يعرف عن الطب والجراحة سوى ختان الذكور، ونزع الأسنان. والإسلام قد أقرّ هذا المبدأ، أي: مبدأ الاختصاص، بل واعتبره

مطلب شرعي وعقلي يقول الله تعالى: **(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا).**5

أي: يستخرجونه ويستعلمونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين، إذا حفرها واستخرجها من قعورها[6] وقال تعالى أيضًا **(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)**[7].

واليوم تجد كثيرًا ممن يتجرأ على الكلام في التجديد ويُنظِّر له، تلقاه من أنصاف المتعلمين، وأرباعهم، وأدنى من ذلك، فضلاً عن غيرهم ممن لا علاقة لهم من قَبِيل ولا من دَبِير بالإسلام وعلومه وفنونه، ومن لا علم له ولا فقه ولا خبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص، وإنزالها في منازلها، ولا يدري شيئًا عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد والنسخ، والمصالح والمفاسد، وهؤلاء وإن كانوا بارعين في مجالات معينة أو في اختصاصاتهم وفنونهم التي يشتغلون بها، لكنهم في العلم الشرعي لا يخرجون عن فصيلة العوام، فالتجديد مهمة الراسخين في العلم، وأهل الحل والعقد في الأمة عبر المجامع والمؤتمرات العلمية فى الجامعات التي تتمتع بالاستقلال وحرية الرأي.

والناظر في الواقع المعاصر: يسجل أيضًا مؤسسات وهيئات، منهم العلمانيون والشيوعيون، والملاحدة، بل ومنهم الصهاينة والصليبيون المتآمرون على الإسلام وأهله، كما أن منهم المسلمين المخدوعين يتكلمون في التجديد الإسلامي. وكل صيحاتهم تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، ومقاومة الدين، والتهجم على النصوص المقدسة، والتأويل التحريفي لها تحت مظلة حرية الرأي والفكر.

إن أحكام الإسلام ليست "بأقل حرمة من قضايا الهندسة، والطب والجغرافيا، فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يفتونا في أدق الشئون الطبية ولا في أوضحها، فكيف نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات الدينية الإسلامية أن يفتونا في شئون ديننا، فكيف نقبل من لجنة فيها المستشرق وفلان وعِلاَّن من أعداء الإسلام أن يجددوا لنا ديننا.

الضابط الثاني: الموضوعية والتجرد من الأهواء المذمومة:

الموضوعية في التصور الإسلامي هي البحث عن الحقيقة اتفقت مع ميول الباحث، والتمسك بالحق بعيدًا عن الأهواء الباطلة، والمزاعم الفاسدة كالكبر والمذهبية المقيتة والتقليد وغيرهم، وتتم في ثلاث خطوات:

---

5 سورة النساء الآية: 83.

6 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1420هـ - 1999م ، (366/2) .

7 سورة التوبة الآية: 122.

1- استهداف الحقيقة: فالمسلم وجه بأن يطلب الحق ويبحث عن الصواب، قال أبو حامد: "ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضالة لا يفرق بين أن تظهر على يده أو غيره، وهكذا كانت مشاورات الصحابة"

2- الانطلاق من الحق، بجعله المعيار الذي يسعى في عمله على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الخسيسة، قال تعالى: (**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**)

3- الأخذ بالحق دون مراوغة عنه أو اكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حد الاعتراف النظري به، وقد مدح الله سبحانه أولئك الذين التزموا الحق حينما عرفوه، فقال سبحانه: (**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**)[8] نقل الطبري بسنده عن ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بَكَوْا حتى أخضلوا لحاهم. وهذا القول فيه نظر، لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة.

وقال سعيد بن جُبَير والسُّدِّي وغيرهما: نزلت في وَفْد بعثهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه، ويروا صفاته، فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أسلموا وبَكَوا وخَشَعوا، ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه[9].

كما ذم الذين يكتفون من الحق بما يوافق أهواءهم، وبين أن ذلك يُعَدُّ إهمالاً للحق كله، قال سبحانه: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**)10

وكذلك ذم الذين يعرفون الحق ولكنهم يكتمونه ولا يطبقونه فقال عز شأنه (**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**)11

وكان الصحابة رضي الله عنهم رجّاعين إلى الحق إذا عرفوه، متراجعين عن الخطأ إذا بُين لهم، ولا يحول بينهم وبين ذلك مكانة اجتماعية أو رأي خاطئ قالوه سلفًا، أو دونية من جاءهم بالحق.

---

[8] سورة المائدة الآية: 83.

[9] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ط، 1422 هـ - 2001م، (166/3)

10 سورة النساء الآية: 150 . 151.

11 سورة البقرة الآية: 46.

ومن هنا يتبين أن هذا الضابط من أهم الضوابط اللازمة لتجديد معاير الإسلامي وإعادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية؛ وذلك لأنه ضابط إيماني أخلاقي، ضابط من داخل النفس لا من خارجها، فهو قبل كل ضابط، وفوق كل ضابط، إنه التجرد لطلب الحق على معنى أن يكون الاهتداء إلى الحق المجرد نصب عينيه، وقبله عقله وضميره، وغاية غاياته في سعيه.

الضابط الثالث: الاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية:

أصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأي حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئًا منها لا اعتبار له لمخالفته للشريعة الإسلامية، كالتجديد الذي يبيح الربا، ويرفض الحجاب، وإقامة الحدود والشرائع.

وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية من منظور الإسلام، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة.

والإسلام بما أنه هو دين الزمان والمكان لا بد وأن يشتمل على ثوابت ومتغيرات، وأنه في حال الثوابت جاء بتحديدات ومفاهيم ثابتة خالدة، لا تتأثّر بتقلبات الزمان، ولا بتطور الأحوال والعادات، وهي قابلة للتطبيق في عصرنا الحاضر، كما كانت مطبقة في عصر الصحراء والإبل.

والتعامل مع الثوابت والمتغيرات على وجه واحد إما أن يفضي بالثوابت إلى التحلل وضياع الهوية الدينية، وانصهار العقيدة الإسلامية في الملل والنحل الأخرى، وإما أن يفضي بالمتغيرات إلى الجمود والتقليد، وكلتاهما يضيع الدين بينهما.

وأيضًا: هذه الثنائية في الإسلام بين ثوابت ومتغيرات تكشف عن إعجاز هذه الرسالة وأنها بحق دين الفطرة، لأن الإنسان بما هو روح وجسد كائن مواطن في عالمين، ومشدود إليهما بعلاقتين: علاقة بالله تعالى، وعلاقة بوسط مادي متغير غير مستقر، فما كان متعلقًا بالله من عقائد وعبادات ونظم ثبته الإسلام، وما تعلق بالجانب المتغير راعي فيه المرونة والحركة ولكن في إطار الأهداف العليا للإيمان بالله تعالى، من هذا جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بالمتغيرات مثل الأحكام المدنية والدستورية والجنائية والاقتصادية متضمنة للأهداف والمبادئ الأساسية في الدين، ومن ثوابت الدين التي لا تقبل التجديد ولا التغير، هي العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنى والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبِر وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث، فهذه الأصول والثوابت من أهم الضوابط

التي ينبغي الاعتصام بها والمحافظة عليها في الإطار التجديدي للمعايير الإسلامية، ومن المعلوم أن هذه الأصول، والنصوص القطعية دلالة وثبوتًا ما يتعلق بالمحرمات وغيرها لا تتعارض مع اليقيني الثابت من العلم ولا مع المصالح القطعية للناس حتى تدخل في الإطار التجديدي.

الضابط الرابع: الاعتراف بمحدودية العقل البشري وعدم إحلاله محل الوحي:

هناك من الأمور ما هو فوق طاقة العقل البشري، وخارج عن حدوده، وأي خوض فيه إنما هو تخبط لا يجني العقل من ورائه إلا الشقاء والضلال، وذلك لأن العقل الإنساني مقيد بإطار الزمان والمكان الحسيين، والنشاط العقلي لا يتجاوز بمفرده دائرة الكون المحسوس، لأنها خارج نطاقه وقدراته ولهذا يجيء الوحي الإلهي ليكمل للإنسان دائرة المعرفة فيخبره بما هو خارج عن قدراته من عوالم الغيب المختلفة.

وقد أخبرنا الوحي عن العوالم الغيبية من حيث بيان صفاتها وآثارها، ولم يخبرنا عن كنهها وجوهرها، ولذلك كانت معرفة الكنه والذات فوق طاقة العقل البشري، قال تعالى عن الروح: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**).[12] وقال تعالى عن الساعة: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**).[13] وقد قيل أنها نزلت في قريش. وقيل: في نفر من اليهود. والأول أشبه، لأن الآية مكية، وكانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعادًا لوقوعها، وتكذيبًا بوجودها[14]

وإذا كان الإسلام قد حجب العقل عن معرفة الكنه والجوهر في الوجود الغيبي، فإنه قد دفعه إلى تعقله عن طريق المعرفة بآثاره وصفاته، كما دفعه إلى نصب الأدلة والبراهين المثبتة له، كما قال تعالى: (**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**)[15] يقول الطبري:يقول تعالى: (**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا**) هؤلاء المكذبون بآياتنا –في ملك الله وسلطانه في السماوات والأرض، وفيما خلق الله من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه، ومِنْ فِعْل من لا ينبغي أن تكون العبادة. والدين الخالص إلا له.

12سورة الإسراء الآية: 85.

13سورة الأعراف الآية: 187

14 لطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ط، 1422 هـ - 2001م، (518/3)

15سورة الأعراف الآية: 185.

فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

وقوله: (**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**)؟ يقول: فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون، إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل.[16]

وفرق كبير بين العلم بكنهها وجوهرها، وما أكثر الأمور التي نؤمن بها ولكننا لا نعرف كنهها كالعرش والكرسي والميزان والصراط، وغير ذلك من عوالم الغيب، والقدر الذي أوقفنا الإسلام عليه في هذا الجانب الاعتقادي هو كاف في مجال المعرفة الإنسانية بهذا العالم، وأي تزيُّد على ما أخبر به الوحي هو تنطع في الدين، وشرود بالعقل في غير مجاله ولن يعود بفائدة على الإنسان.

وكما أن أي تأويل لهذه الأمور الغيبية إنما هو خروج بها عن حقيقتها وتجاوز واضح للعقل يفضي إلى تحريف الدين وتبديله لا تجديده، وتعد سافر على دائرة الوحي والتشريع لا يحصد العقل من ورائه إلا الحيرة والاضطراب.

إن مراعاة هذا الضابط في التجديد الاعتراف بمحدودية العقل، وعدم إحلاله محل الوحي يستلزم الإذعان الكامل لنصوص الوحي الصحيحة من القرآن والسنة، وتقديم هذه النصوص على العقل أو ما يراه العقل، فيصبح النص أو الوحي هو المقدم في المنزلة على العقل، وذلك لعدم إحاطة العقل الكاملة بكنه الأشياء وجوهرها، فما خالف العقل فيه الوحي فيجب أن يكون حق العقل هنا هو التأخير. وإن العكس بتقديم العقل على الوحي يؤدي حتمًا إلى ما ظهر على الساحة الإسلامية من إنكار الغيبيات أو تأويلها بما يخرجها عما أراده المشرع، من مثل الجنة والنار، ووجود الجن والشياطين والملائكة والتشكيك في كثير من الأحكام والحدود الشرعية، وكذلك التشكيك في معجزات الأنبياء بدعوى مخالفتها للعقل، وعدم القدرة على ثبوتها في الواقع، وذلك كله زيغ عن الحق وضلال في الاعتقاد نشأ عن تجاوز هذا الضابط.

الضابط الخامس: أن يكون القصد من التجديد إصلاح الفكر الديني لدى الأمة:

إن الأمة الإسلامية قد أصيبت بخلل فكري، وتضارب في العقول نتج عنه تشتت الأنفس وتناقض الأفكار، والوقوع في الحيرة والاضطراب، فاستلزم ذلك إصلاح الفكر وتجديده من خلال المنهج الإسلامي الرشيد، وهذا ليس بالأمر الهين البسيط، بل هو من أصعب الأمور وأكثرها تعقيدًا وأشدها خطورة إذ إن مهمة الإصلاح والتجديد تلي في المنزلة عمل الأنبياء والمرسلين في بناء الإنسان، وإعادة تشكيل هيكله الفكري والثقافي عن الدين والكون والحياة، بيد أن الفارق

[16] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (517/3)

الجوهري بين مهمة الأنبياء ومهمة المصلحين والمجددين، أن مهمة الأنبياء جاءت بإرساء القِيم التي عانت المجتمعات من خلوها وندرتها، ثم التعامل الأمثل مع هذه القِيم، أي إنه كانت هناك أزمة في القيم وأزمة في التعامل معها كما نلمس ذلك في قراءة آيات قصتي شعيب ولوطٍ عليهما السلام.

فقد أيّد العلامة الشيخ القرضاوي تلك الضوابط من ناحية، حيث قال في معنى مجمل كلامه، قال القرضاوي: "ومن الحق أن يراجع الناس أفكارهم ومواقفهم واجتهاداتهم على ضوء المستجدات، وفي إطار الثوابت التي لا تتغير بتغيير الزمان والمكان، كما قال علمائنا بوجوب تغيير الفتوى بتغيير موجبها"[17]

أما دور المصلحين والمجددين فليس في جلب القيم الجديدة، وإنما في الإبقاء على القِيم التي جاء بها الأنبياء مع التوظيف الأمثل لهذه القِيَم وتطبيقها على المجتمع، ليست المشكلة أو الأزمة التي يعاني منها العقل المسلم مشكلة قِيم، أو أزمة قِيم التي أكملها الله وتعهد بحفظها في الكتاب والسنة، وإنما المشكلة كل المشكلة في العجز عن التعامل مع القِيم، والإنتاج الفكري الذي يجسّد العلاقة بين هذه القِيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويساهم باستصحاب الرؤية القرآنية، ويدرك عالم الخلود في الرسالة الإسلامية وقدرتها على العطاء المتجدد المجرد عن حدود الزمان والمكان لحل المشكلات البشرية، وهذه وظيفة الفكر، أو عالم الأفكار الذي نعاني من التأزم فيه، ولذلك نرى أن الخلط بين ما نسميه الأزمة الفكرية التي يعاني منها العقل المسلم، والذي أورثه العجز عن التعامل مع القِيم من جانب، وأفقدته القدرة على تنزيلها على الواقع الإنساني، وبين التوهم بأن الأزمة في القِيم نفسها كانت وراء الكثير من المغالطات والتراجعات والحواجز النفسية التي لا تزال تكرس التخلف باسم التدين. لذا فمراعاة هذا الضابط، وتحديد مفهومه وعدم الخلط بين إصلاح الفكر وإصلاح القِيم التي جاء بها الوحي من الضروريات المهمة للنهوض بالعملية التجديدية للخطاب الإسلامي، وإقامة البناء المعرفي والثقافي للأمة الإسلامية ومن ثَم إعادة الدور الحضاري لها.

خلاصة الفصل الثالث:

إن الأخلاق الإسلامية المتمثل بالتمسك بالدين هي من الأمور الأساسية التي تجعل الداعية يكون ثابتا في مبادئه، ولا شك أن الثبات على دين الله، والاستقامة على شرعه مطلب كل مسلم صادق يريد رضا الله والجنة، ويخشى عذابه والنار، والاستقامة على الطاعة، للثابتين على دين الله عز وجل أجر عظيم من الله تعالى، ولهم الحياة الطيبة في الدنيا،

[17] القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، مصر – القاهرة، دار الشروق، ط:1، (1324هـ 2004م)، ص 10.

ويجعل الله لهم المحنة منح، والبلاء راحة البال، سواء في عصر العولمة أو غيرها، لكل شيء إيجابياته وسلبياته، فالعاقل من يتفانى في البحث عن الطرق المثلى والوسائل المناسبة؛ لتحقيق ما يقصد إليه.

إن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان لا بد أن يشتمل على ثوابت ومتغيرات، وأنه في حال الثوابت جاء بتحديدات ومفاهيم ثابتة خالدة، لا تتأثر بتقلبات الزمان، ولا بتطور الأحوال والعادات، وهي قابلة للتطبيق في عصرنا الحاضر.

رغم من وجود العديد من السلبيات التي تأتي بها العولمة لكنه إذا تعاملنا معها بطريقة جيدة ونستفيد من التعاون المشترك والتكامل بين القوى والضعيف، وإذا تعاملنا معها بطريقة جيدة فالدول النامية قد تستفيد منها، وكما أن للعولمة فوائد جمة يُستفاد من الدول المتقدمة، وللعولمة نتائج فريدة أيضاً للدول غير المتقدمة التي تشارك في مضمار المنافسة الاقتصادية.

ومع ذلك لا نتغافل من أن إيجابيات العولمة أقل من سلبياتها، ومن هنا على الداعية الفذ اليقظة لمعرفة إيجابياتها وسلبياتها للتعامل معها بوعي تام، وخاصة القيام بمقاومة الهجمات التي تستهدف الإسلام والمسلمين من قبل العولمة بشكل عام. ينبغي علينا أن نستفيد برياح العولمة. ولا ينبغي أن نشغل بسفاسف الأمور، ويجب علينا في سرعة معقولة أن تحلل الموقف بأسلوب موضوعي غير عاطفي، وأن نتحرك لتفادي الشر. وكل هذه الاستراتيجيات تعين الداعية على الثبات.

الخاتمة:

فالداعية الناجح هو الذي يتمسك بالمعاصرة والأصالة الحاضر مع البقاء والمحافظة على الثوابت، ولا تكون فكرته جامدة إلى جانب واحد، فالدنيا تغيرت وتبدلت، لذلك لا بد من الجمع بين طراز الماضي والأصالة الحاضر، وخاصة في عصرنا هذا المتمثل بالعصر العولمة، وهذه من الحكمة في الدعوة التي افتقر الكثير إليها.

فالداعية مطلوب أساساً من الحكمة في دعوته، أنه من تصور أنه سوف يرد الناس بالعصا والركل والشتم فقد أخطأ سواء السبيل، فقد خسر منهجه فقد أفلت الناس من يديه.

حب الناس عموماً وحب المدعوين خصوصاً من الأسرار التي تجعل الداعية أن يكون ناجحا في دعوته، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم زرع الحب في قلوب أصحابه رضوان الله عليهم، حتى كان الواحد منهم يتقدم أمامه بالسيف ويقول نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله، لأنه أحب الناس كأبنائه بل أكثر حبا لأبنائه، وهذا هو السر الأعظم في نجاح دعوته عليه الصلاة والسلام.

يجب على الداعية تأهيل طلاب العلم الشرعي لتولي مهمة الدعوة في كل أرجاء المعمورة، ولمساعدته في دعوته، وتوزيع الحصص حسب الكفائة والقدرة. فاستعدادات الصحابة كان يدرسها عليه الصلاة والسلام، أعطى الأذان بلالا، والخلافة لأبي بكر الصديق، وعلى القافية والعروض لحسان بن ثابت، ومدرسة المواريث والفرائض لزيد بن ثابت، والأمانة لأبي عبيدة، والشجاعة وتصدي التحديات لعمر بن الخطاب، وهيئة العدل والاستشارة لعلي بن أبي طالب، وهذه هي استراتيجية الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، وهذا هو السر الأعظم من نجاح دعوته عليه الصلاة والسلام، وهذا الأمر يفوت على كثير من المعلمين والمربين والدعاة.

أهم النتائج.

1- الدعوة الإسلامية تمر بوقت عصيب الذي هو عصر العولمة، وفي هذا العصر تحديات كبيرة جعلت الدعوة حملا ثقيلا على الدعاة في شتى البلدان والأقاليم، إثر التطورات الرهيبة في وسائل الإعلام المتنوعة، والانتشار الكثيف لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة التى تستهدف الدعوة والدعاة.

2- إن التقدم التكنلوجي يحُتِّم على الصروح العلمية، والدعائم الدعوية، والمجالس المعرفة والحوار، يحُتِّم عليها استخدامَ الوسائل الحديثة والتطورات المستجدة والتقنيات الحديثة لنشر الدعوة، ويوجب عليهم النزول إلى الميدان ومقارعة الحجة بالحجة؛ لنسف المفاهيم الخاطئة إذ أن لكل عصر من عصور الدعوة وسائل تناسبه علاوة على الأساليب التي ورِثناها عن سلفنا الصالح – نوّر الله مراقدهم وفي غرف الجنان أرقدهم- وأن الدعوة إلى الله تقع على كاهل كلٍّ حسب استطاعته.

3 – تم تشخيص تأثر المجتمعات الإسلامية إلى حد كبير بظاهرة العولمة، حتى أصبح الكثير من المجتمعات يرون الدعوة تخلفاً، ويرون في الدعاة بداوة ورجعية.

4 – الانتشار والتأثير السلبي الخطير للعولمة في الدعاة، وتأثير ذلك في الدعوة الإسلامية إلى حد كبير.

5 – معنى العولمة ليس كما يروجها أصحاب هذه الفكرة. حتى قال الشيخ القرضاوي: (فالظاهر الذي في العولمة هي فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصاً عالم الشرق والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي، الولايات المتحدة بقوتها العلمية والتكنولوجية، وبقدرتها العسكرية الهائلة، وبإمكاناتها الاقتصادية الجبارة، وبنظرتها الاستعلائية التي ترى فيها نفسها أنها سيدة العالم، تريد أن تسوق البشر بعصاها!)

6– وجد الباحث أن العولمة تمثل محاولة لإجبار الشعوب على التمسك بالحضارة والثقافة الغربية، وهي عبارة عن استعمار جديد بثوب جديد وبأسلوب جديد. حتى قال الشيخ القرضاوي: (العولمة في أجلى صورها اليوم تعني: (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم) إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة، ليمارس عهداً جديداً من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة). إنها تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وأي دولة تتمرد أو تنشز لا بد أن تؤدب بالحصار أو التهديد العسكري، أو الضرب المباشر، كما حدث مع أفغانستان والعراق والسودان وإيران وليبيا. وكذلك تعني فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير، مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها.)

7– وجد أن العولمة تدعو إلى التركيز على الماديات والملاهي والزواهي، وترك شؤون الدين، وخاصة الدين الإسلامي، حيث إن العالم الإسلامي هو أكثر عرضة واستهدافا من قبل العولمة، حتى قال الشيخ: (كما تعني: فرض ثقافتها الخاصة التي تقوم على فلسفة المادية والنفعية، وتبرير الحرية إلى حد الإباحية، وتستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير ذلك في المؤتمرات العالمية، وتسوق الشعوب إلى الموافقة على ذلك بسياط التخويف أو التهديد، أو ببوارق الوعود والإغراء. وتجلى ذلك في مؤتمر (السكان) الذي عقد بالقاهرة في صيف 1994م، الذي أريد فيه أن تمُرر وثيقة تبيح الإجهاض بالإطلاق، وتجيز الأسرة الوحيدة الجنس، (زواج الرجال بالرجال، النساء بالنساء)

التوصيات.

1– على الداعية في هذا العصر أن يجمع بين أخذ العبرة من الماضي، مع فهم مجريات الحاضر، حيث يحلل ويقارن بين أصالة الماضي وعصرية الحاضر، وأن لا يتغافل بنعم العصر الذي منّ الله علينا، ولا يبقى الفكر جامداً ومتخلفاً، لأن كل شيء تطور وتغير وتبدل في هذا العصر.

2– يوصي الداعية استخدام كل السبل والوسائل المتاحة شرعاً وقانوناً لمواجهة التحديات التي تعيق به في هذا العصر وفي هذا الوقت العصيب الذي يمر به العالم الإسلامي، حيث لوحظ انتشار كثير لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة، التى تستهدف الإسلام بشكل عام.

3– ينبغى على الداعية أن يعطي قدراً من الاهتمام في توعية الناس بالأخطار التي تحيط بعصر الحاضر.

4– ثبات الداعية وخاصة في عصر الحديث يُفشِل مخططات أعداء الدعوة المعاصرين، ويتسنى للدعاة التصدي لها بالوسائل المشروعة مع الاستفادة من التقنية الحديثة في تقدم الدعوة.

المصادر والمراجع:

. مطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة)القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم، (1426هـ المنورة، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

(1426هـ / 2005م). مجموع الفتاوى، .ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني دار الوفاء، ط3.

(1405هـ). الوابل الصيب، بيروت: دار الكتاب .ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله العربي، ط1.

(1393 / 1973). الفوائد، بيروت: دار الكتب .ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله العلمية، ط2.

(1420هـ / 1999م). تفسير القرآن العظيم، .ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الرياض: دار طيبة، ط2.

(1998م). السنن، بيروت: دار .الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى الغرب الإسلامي.

(1429هـ / 2008م). الثبات، القاهرة: درا الأندلس، ط1..حمد موسى الشريف

الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب.

.(1420هـ). مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3

الحنبلي، (1417 هـ .زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي /1996م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1.

(1433 هـ / 2012م). بحوث ومقالات حول الثورة السورية، نصائح وتوجيهات على .علي بن نايف الشحود، الطريق، من 15/ 3/ 2011 م- حتى 14/ 1/ 2012م/ ط.1.

(4 – 5 ذو الحجة / 1432هـ الموافق 20 – 21/ 10 2012م). الهوية .شوك أحمد إبراهيم أبو شوك الإسلامية والعولمة الوضعية جدلية الثابت والمتغير، مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، "المجتمع المسلم ... الثوابت والمتغيرات" نظمته رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.

(1420 هـ - 2000م). جامع .الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري البيان في تأويل القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1.

الغضبان، منير محمد. (1991م) المنهج التربوي للسيرة النبوية، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ط1.

القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" ط:1، (1324هـ 2004م)، دار الشروق، مصر – القاهرة.

القرضاوي، يوسف. (1416هـ / 1996م). ثقافة الداعية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط10.

القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (1423 هـ/ 2003م). الجامع الأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب.

محمد أحمد جاد المولى. قصص الأنبياء، القاهرة: مكتبة المدينة.

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (1984هـ). التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية.

ناصر بن سلميان العمر. (1324هـ). رسالة مسلم في حقبة العولمة، الدوحة: مركز الدراسات الإسلامية.

(1415هـ). الوجيز في .الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي .تفسير الكتاب العزيز، دمشق و بيروت: دار القلم، الدار الشامية ط:1